

46992 - نبذة عن مذهب الإمام أبي حنيفة

السؤال

نرجو من فضيلتكم إعطاء نبذة عن الإمام أبو حنيفة وعن مذهبـه حيث أسمـع البعض ينتقصـون من مذهبـ الإمام وذلك لاعتمادـه في كثيرـ من الأحيـان على القياسـ والرأـي .

الإجابة المفصلة

الإمام أبو حنيفة هو فقيـهـ المـلةـ عـالـمـ العـرـاقـ أبوـ حـنـيفـةـ النـعـمـانـ بنـ ثـابـتـ التـيمـيـ الـكـوـفـيـ ، ولـدـ سـنـةـ ثـمـانـينـ فيـ حـيـاةـ صـفـارـ الصـحـابـةـ وـرـأـىـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ لـمـاـ قـدـمـ عـلـيـهـ الـكـوـفـةـ ، وـرـوـىـ عـنـ عـطـاءـ بـنـ أـبـيـ رـبـاحـ وـهـ أـكـبـرـ شـيـخـ لـهـ ، وـعـنـ الشـعـبـيـ وـغـيـرـهـمـ كـثـيرـ .

وـقـدـ عـنـيـ رـحـمـهـ اللـهـ بـطـلـبـ الـآـتـارـ وـارـتـحلـ فـيـ ذـلـكـ ، وـأـمـاـ الفـقـهـ وـالـتـدـقـيقـ فـيـ الرـأـيـ وـغـوـامـضـهـ فـإـلـيـهـ الـمـنـتـهـىـ وـالـنـاسـ عـلـيـهـ عـيـالـ فـيـ ذـلـكـ كـمـاـ يـقـولـ الـإـمـامـ الـذـهـبـيـ ، حـتـىـ قـالـ :ـ "ـ وـسـيـرـتـهـ تـحـتـمـلـ أـنـ تـفـرـدـ فـيـ مـجـلـدـيـنـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـرـحـمـهـ "

وـكـانـ الـإـمـامـ فـصـيـحـ الـلـسـانـ عـذـبـ الـمـنـطـقـ ، حـتـىـ وـصـفـهـ تـلـمـيـذـهـ أـبـيـ يـوسـفـ بـقـولـهـ :ـ "ـ كـانـ أـحـسـنـ النـاسـ مـنـطـقـاـ وـأـحـلـاـمـ نـغـمـةـ ، وـأـنـبـهـمـ عـلـىـ مـاـ يـرـيدـ "ـ ، وـكـانـ وـرـعاـ تـقـيـاـ ، شـدـيـدـ الـذـبـ عنـ مـحـارـمـ اللـهـ أـنـ تـؤـتـىـ ، عـرـضـتـ عـلـيـهـ الدـنـيـاـ وـالـأـمـوـالـ الـعـظـيـمـةـ فـنـبـذـهـاـ وـرـاءـ ظـهـرـهـ ، حـتـىـ ضـرـبـ بـالـسـيـاطـ لـيـقـلـ تـولـيـ الـقـضـاءـ أـوـ بـيـتـ الـمـالـ فـأـبـيـ .

حدـثـ عـنـهـ خـلـقـ كـثـيرـ ، وـتـوـفـيـ شـهـيـداـ مـسـقـيـاـ فـيـ سـنـةـ خـمـسـيـنـ وـمـائـةـ وـلـهـ سـبـعـونـ سـنـةـ .ـ [ـ سـيـرـ أـعـلـامـ الـبـلـاءـ 6ـ 390ـ 403ـ ، أـصـوـلـ الـدـيـنـ عـنـ الـإـمـامـ أـبـيـ حـنـيفـةـ صـ 63ـ]

أـمـاـ الـمـذـهـبـ الـحـنـفـيـ فـهـوـ أـحـدـ الـمـذاـهـبـ الـأـرـبـعـةـ الـمـشـهـورـةـ الـمـتـبـوعـةـ ، وـهـوـ أـوـلـ الـمـذاـهـبـ الـفـقـهـيـةـ ، حـتـىـ قـيـلـ :ـ "ـ النـاسـ عـالـةـ فـيـ الـفـقـهـ عـلـىـ أـبـيـ حـنـيفـةـ "ـ ، وـأـصـلـ الـمـذـهـبـ الـحـنـفـيـ وـبـاـقـيـ الـمـذاـهـبـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـأـئـمـةـ –ـ أـعـنـيـ أـبـيـ حـنـيفـةـ وـمـالـكـ وـالـشـافـعـيـ وـأـحـمدـ –ـ كـانـواـ يـجـتـهـدـونـ فـيـ فـهـمـ أـدـلـةـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ ، وـيـفـتوـنـ النـاسـ بـحـسـبـ الـدـلـلـ الـذـيـ وـصـلـ إـلـيـهـمـ ، ثـمـ أـخـذـ أـتـبـاعـ أـوـلـكـ الـأـئـمـةـ فـتـاوـيـ الـأـئـمـةـ وـنـشـرـوـهـاـ وـقـاسـوـهـاـ عـلـيـهـاـ ، وـقـعـدـوـلـاـ الـقـوـاعـدـ ، وـوـضـعـوـلـاـ الـضـوـابـطـ وـالـأـصـوـلـ ، حـتـىـ تـكـوـنـ الـمـذـهـبـ الـحـنـفـيـ وـالـشـافـعـيـ وـالـمـالـكـيـ وـالـحـنـبـلـيـ وـتـكـوـنـتـ مـذاـهـبـ أـخـرىـ كـمـذـهـبـ الـأـوزـاعـيـ وـسـفـيـانـ لـكـنـهـ لـمـ يـكـتـبـ لـهـ الـاـسـتـمـارـ .

وـكـمـاـ تـرـىـ فـإـنـ أـسـاسـ تـلـكـ الـمـذاـهـبـ الـفـقـهـيـةـ كـانـ قـائـمـاـ عـلـىـ اـتـبـاعـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ .

أـمـاـ الرـأـيـ وـالـقـيـاسـ الـذـيـ أـخـذـ بـهـ الـإـمـامـ أـبـيـ حـنـيفـةـ ، فـلـيـسـ الـمـرـادـ بـهـ الـهـوـيـ وـالـتـشـهـيـ ، وـإـنـماـ هوـ الرـأـيـ الـمـبـنـيـ عـلـىـ الـدـلـلـ أوـ الـقـرـائـنـ أوـ مـتـابـعـةـ الـأـصـوـلـ الـعـامـةـ لـلـشـرـيـعـةـ ، وـقـدـ كـانـ السـلـفـ يـطـلـقـوـنـ عـلـىـ الـاجـتـهـادـ فـيـ الـمـسـائـلـ الـمـشـكـلـةـ "ـ رـأـيـاـ "ـ كـمـاـ قـالـ كـثـيرـ مـنـهـمـ فـيـ تـفـسـيـرـ آـيـاتـ مـنـ كـتـابـ اللـهـ :ـ أـقـولـ فـيـهـاـ بـرـأـيـيـ ، أـيـ بـاجـتـهـادـيـ ، وـلـيـسـ الـمـرـادـ الـتـشـهـيـ وـالـهـوـيـ كـمـاـ سـبـقـ .

وقد توسع الإمام أبو حنيفة في الأخذ بالرأي والقياس في غير الحدود والكافارات والتقديرات الشرعية ، والسبب في ذلك أنه أقل من غيره من الأئمة في رواية الحديث لتقديم عهده على عهد بقية الأئمة ، ولتشدده في رواية الحديث بسبب فشو الكذب في العراق في زمانه وكثرة الفتنة .

ويجب ملاحظة أن المذهب الحنفي المنسب إلى الإمام أبي حنيفة ، ليس كل الأقوال والآراء التي فيه هي من كلام أبي حنيفة ، أو تصح أن تنسب إليه ، فعدد غير قليل من تلك الأقوال مخالف لنص الإمام أبي حنيفة نفسه ، وإنما جعل من مذهبها بناء على تعقيبات المذهب المستنبطة من نصوص أخرى للإمام ، كما أن المذهب الحنفي قد يعتمد رأي التلميذ كأبي يوسف ومحمد ، إضافة إلى أن المذهب يضم اتجاهات لتلاميذ الإمام ، قد تصبح فيما بعد هي المذهب ، وليس هذا خاصاً بمذهب أبي حنيفة ، بل قل مثل ذلك في سائر المذاهب المشهورة .

فإن قيل : إذا كان مستند المذاهب الأربع في الأصل الكتاب والسنة ، فلماذا وجدنا اختلافاً في الآراء الفقهية بينها ؟

فالجواب : أن كل إمام كان يفتني بحسب ما وصل إليه من دليل ، فقد يصل إلى الإمام مالك حديث فيفتني به ، ولا يصل إلى الإمام أبي حنيفة ، فيفتني بخلافه ، والعكس صحيح ، كما إنه قد يصل إلى أبي حنيفة حديث ما بسند صحيح فيفتني به ، ويصل إلى الإمام الشافعي نفس الحديث لكن بسند آخر ضعيف فلا يفتني به ، ويفتني بأمر آخر مخالف للحديث بناء على ما أداه إليه اجتهاده ، ولأجل هذا حصل الخلاف بين الأئمة - وهذا باختصار - ، لكن المعمول والمرجع في النهاية لهم جميعاً إلى الكتاب والسنة .

ثم إن الإمام أبو حنيفة وغيره من الأئمة في حقيقة أمرهم وسيرتهم قد أخذوا بنصوص الكتاب والسنة ، وإن لم يفتوا بها ، وبيان ذلك أن كل الأئمة الأربع قد نصوا على أنه إن صح الحديث ما فهو مذهبهم ، وبه يأخذون ، وبه يفتون ، وعليه يستندون .

قال الإمام أبو حنيفة : "إذا صح الحديث فهو مذهبني" ، وقال رحمه الله : "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه" ، وفي رواية عنه : "حرام على من لم يعرف دليلاً أن يفتني بكلامي" ، زاد في رواية أخرى : "إفانتنا بشر ، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً" ، وقال رحمه الله : "إذا قلت قولنا يخالف كتاب الله تعالى ، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولنا"

وقال الإمام مالك رحمه الله : "إنما أنا بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأيي ، وكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" ، وقال رحمه الله : "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم"

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : "ما من أخذ إلا وتذهب عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعزب عنه - أي تغيب - ، فمهما قلت من قول ، أو أصلت من أصل ، فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله"

وقال الإمام أحمد : "لا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا" ، وقال رحمه الله : "رأى الأوزاعي ورأى مالك ورأى أبي حنيفة كله رأى ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار - أي الأدلة الشرعية"

هذه نبذة يسيرة عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، ومذهبه ، وختاما : لا يسع المسلم إلا أن يعرف لهؤلاء فضلهم ، ومكانتهم ، على أن ذلك لا يدعوه إلى تقديم أقوالهم على كتاب الله ، وما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن الأصل اتباع الكتاب والسنّة لا أقوال الرجال ، فكل يؤخذ من قوله ويبرد إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما قال الإمام مالك رحمه الله .

ولمزيد من الفائدة انظر ([21420](#)، [23280](#)، [13189](#)، [5523](#))

وانظر المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية لعمر الأشقر .